

الأمثل في تفسير كتاب الأئمة المنزل

[408] أمر أو حدث شهده بنفسه. وكون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) شاهداً على جميع المسلمين يعني إطلاعه على أعمال المؤمنين، وينسجم هذا المفهوم مع حديث (عرض الأعمال) وبعض الآيات القرآنية التي أشارت إلى ذلك، حيث تعرض أعمال المؤمنين (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه في نهاية كل أسبوع فتطلع روحه الطاهرة عليها جميعاً، فهو شاهد على المؤمنين. وذكرت بعض الأحاديث أن معصومي هذه الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) هم أيضاً شهداء على أعمال الناس، نقرأ في حديث عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) قوله: "نحن حجج الله في خلقه ونحن شهداء الله وأعلامه في بريته" (1). في الحقيقة إن المخاطب في عبارة "لتكونوا" وحسب ظاهر الكلمة هو المؤمنين جميعاً، وقد يكون المراد قادة هذه الأمة، فمخاطبة الكل وإرادة الجزء أمر متعارف في المحادثة اليومية. ومثال ذلك ما جاء في الآية (20) من سورة المائدة (وجعلكم ملوكاً). حيث نعلم أن عدداً قليلاً منهم أصبحوا ملوكاً. وهناك معنى آخر لكلمة شهداء، هي "الشهادة العملية" أي كون أعمال الفرد انموذجاً للآخرين وقدوة لهم، وهكذا يكون جميع المسلمين الحقيقيين شهداء، لأنهم المؤمنين يقتدي بهم المؤمن بما لديهم من دين يمكنهم أن يكونوا مقياساً للسمو والفضل بين جميع المؤمنين. وجاء في حديث عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): "إذا بعث الله نبياً جعله شهيداً على قومه، وإن الله تبارك وتعالى جعل المؤمنين شهداء على الخلق، حيث يقول: ليكون الرسول شهيداً عليكم، وتكونوا شهداء على الناس" (2). أي كما يكون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قدوة وأُسوة حسنة للمؤمنين، تكونون أنتم أيضاً أُسوة وقدوة للناس، وهذا التفسير لا يناقض الحديث السابق فجميع المؤمنين شهداء،

1 - كتاب "إكمال الدين" للشيخ الصدوق حسبما نقل عنه

تفسير نور الثقلين، المجلد الثالث، صفحة 526. كما أكدت ذلك أحاديث أخرى في هذا

المجال. 2 - تفسير البرهان، المجلد الثالث، صفحة 105.